بسم الله الرحمن الرحيم

دائمًا ما تُثارُ قضيةُ الترحُّم على غير المسلم عند موته، كلما مات شخص غيرُ مسلم له مواقف طيبة[1]، فإذا ما مات يظهر كثيرٌ من المسلمين الشفقة عليه، والتعاطُف معه، فيقومون بالدعاء له بالرحمةِ وفي ظنِّهم أنَّ هذا نافِعُه، مستعظمين أنْ يُعذِّب اللهُ تعالى مثلَه، متناسين أن الترحُّم على غير المسلم إذا مات يُناقِضُ العقيدةَ، متأولين آياتِ القرآن لتُوافِق ما ذهبوا إليه...

والبعض من المسلمين بداعي أن الإسلامَ دينُ رحمة وإنسانية، وليرضوا أهل الأديان الأخرى، الذين رمَوا الإسلامَ بأنه دينُ إرهاب وتطرُّفٍ وعنف، فأرادوا أن يُبيِّنوا لهم خطأَ مزاعمِهم، وأن الإسلام يَسَعُ الجميعَ برحمته حتى الكافرُ به تسَعُه الرحمةُ!! ولتبيان المسألة أقول: الترحُّمَ على غير المسلم لا يجوز، ونقل القاضي المالكي عياض اليحصبي الإجماع على ذلك كما ذكر النووي، والأدلةُ على ذلك كثيرةٌ:

١-قوله تعالى:{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}[التوبة: ١١٣] نزلت في نهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لعمِّه أبي طالب، رغم كل الأيادي البيضاء التي قدمها للنبي صلى الله عليه وسلم، فكيف بمن هو دون أبي طالب من غير المسلمين؟!

٢- إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما مات أبوه كافرًا تبرَّأ منه، بعد أنْ وعدَه أن يستغفرَ له، قال تعالى:{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}[التوبة: ١١٤] وعده بالاستغفار حالَ حياته، وهذا جائزٌ عند كافة العلماء...لكن لما مات كافرًا تبرَّأ منه، وانقطع عن الدعاء له...

٣- نوح عليه الصلاة والسلام لما مات ولده غرقاً كافرًا، أخذَتْ نوحًا الشفقةُ على ولده، فنادى ربَّه أن يُنجيَه من العقاب:{وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}[هود: ٤٥] جاء الردّ من الله تعالى:{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا

١- فرانك كابريو.... سنة ٢٠٠٥ بابا الروم الكاثوليك يوحنا بولص الثاني....عالم الفيزياء ستيفن هوكينج

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}[هود: ٤٦] لا تدعو له، ولا تأخذك شفقةٌ به، هو ليس من أهلك، إنما أهلُكَ مَنْ آمَنوا بكَ، وصدَّقُوك...

٤- الدعاء بالرحمة لغير المسلم بعد موته يُصادِم آيات القرآن الكريم والسنة النبوية التي تقول أن مصير الكافرين النار، فكيف يحكُم اللهُ عليهم أنهم من أهل النار، وغير مرحومين، ثم يأتي من يقول: إنَّ الترحُّمَ عليهم جائزٌ؟!

قال تعالى:{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[آل عمران: ٨٥] وقال:{وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا}[الفتح: ١٣] وقال:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}[التغابن: ١٠] وآياتُ كثيرةٌ جدًّا في توعُّد الكُفَّار بنارِ جهنمَ والخلودِ فيها...

وهناك بعض الشبه التي تَمَسَّكَ بها من زعم جوازَ الترحُّمِ على غير المسلم، ومنها:

١-قوله تعالى:{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}[الأعراف: ١٥٦] قالوا: رحمة الله تعالى تسَع كُلَّ شيء، والكافرُ شيءٌ من الأشياء؛ إذًا تَسعُه رحمةُ الله، فلماذا تُحجِّرون واسِعًا؟! فنقول لهم: تكملة الآيةِ تُقرِّر نقيضَ قولكم، بل تُعَدُّ دليلًا قويًّا على أن الكافرَ لا تنالُه رحمةُ الله يومَ القيامة:{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ}[الأعراف: ١٥٦]

٢- الرحمة غيرُ المغفرة، والمنهيُّ عنه طلب المغفرة لغير المسلم، أما الرحمة فتجوز؛ علّ الله يرحَمُه بتخفيف العذاب عنه يومَ القيامة، ولو لم يخرج من النار، والردُّ عليهم من ثلاثةِ أوجُه:

أ- أن من يطلُب الرحمةَ لغير المسلم، إنما يقصِد ألَّا يُعذَّب في نار جهنَّمَ، وأن يكون مصيرُه إلى الجنة، فمن المُستبعَد أن أيَّ إنسانٍ يدعو لميت بالرحمة يكون مقصودُه تخفيفَ العذاب عنه فقط يومَ القيامة، مع اعتقاده أنه من المعذَّبين في جهنم...فالله قال لنبينا: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة:٨٤] فنهاه أن يُصلِّي على أحدٍ منهم إذا مات، وأن يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له...

ب-حكم الله بعدم تخفيف العذاب عن الكافرين، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ}[البقرة: ١٦١، ١٦٢]

ج- استعمال الرحمة والمغفرة في القرآن الكريم غالبًا ما يكون بمعنًى واحدٍ؛ وهو النجاة من العذاب؛ فأحيانًا تأتي الرحمة في مقابل العذابِ، كقوله تعالى:{رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا}[الإسراء: ٥٤] وقوله: {يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ}[العنكبوت: ٢١]، وأحيانًا تأتي المغفرة مقابلَ العذابِ كقوله تعالى:{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[آل عمران: ١٢٩] وقوله:{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[المائدة: ٤٠]...

٥- قالوا الآيات التي تنهى عن طلب المغفرة خاصةٌ بالمشركين، فلو سَلَّمنا بعدم جواز الترحُّم عليهم، لم نُسلِّم بعدم جوازه لأهل الكتاب! خاصةً وأن الله تعالى أباح التزوُّجَ منهم، فكيف يُحرِّم على المسلم أن يترحَّمَ على الكِتابيَّة مثلاً وهي زوجتُه أُمُّ أولادِه؟

والجواب: أنَّ كلًّا من المشركين وأهل الكتاب كُفَّارٌ بنصِّ القرآن الكريم قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ}[البينة: ٦].

٦-قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام:{إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[المائدة: ١١٨] فلو كانت المغفرةُ والرحمةُ غيرَ جائزة للكافر، لما جعلها عيسى عليه السلام احتمالًا يجوز وقوعه من الله تعالى، ولكن لما كانت محتملةً، ومن الجائز أن يرحمَهم اللهُ كما قال عيسى؛ إذًا يجوز الدعاء بالرحمة والمغفرة لغير المسلم.

والجواب: أن عيسى عليه السلام لم يكن في مقام طلب الرحمة لهم والاعتذار عن كُفْرهم، ولو كان الأمر كذلك لختم الآية بقوله:{وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم} ولكن المقام مقامُ إظهارِ هَيْمَنةِ الله تعالى على خَلْقِه، وملكيته التامة لهم يوم القيامة، وأنه القادر عليهم فلا يُعجِزُه شيءٌ من أمرهم، لذلك ختم الآية بقوله:{فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}...

على أن بعض العلماء قد ذهبوا إلى أن الحوار الذي دار بين الله عز وجل وعيسى عليه السلام في الدنيا وليس يوم القيامة، فعيسى في السماء بعدما رفعه الله إليه، وعلى هذا تكون احتماليةُ مغفرةِ الله لهم الواردة في الآية مقصودًا بها أن يتوبوا من كفرهم، وممن ذهب إلى هذا شيخُ المفسرين الإمام الطبري رحمه الله تعالى...

وللتنبيه: عدم ترحُّمِنا على غير المسلم ليس معناه أن نحكُم عليه بأنه من أهل النار قطعًا...

فمذهب أهل السنة والجماعة أنه لا يجوز الحُكْم على معيَّنٍ بأنه من أهل الجنة أو النار، إلا من ثبَتَ بالوحي أنه من أهل الجنة أو النار؛ فنُفوِّض الأمرَ إلى الله تعالى مع اعتقادنا الجازم بعَدْل الله، وأنه لا يظلِمُ أحَدًا...

ومن باب الأمانة العلمية: خالف الإمام **البيهقي الشافعي** في ذلك، وكذا الفقيه الحنفي **أحمد الكوراني** بل جزم بجوازه، وكذا ممن نقضوا دعوى الإجماع، الفقيه الحنفي والمحدث **محمد أنور شاه الكشميري**[٢]، والعلامة **شهاب الدين الخفاجي**، **والعلامة شهاب الدين الآلوسي**...

وكذا بعض أئمة الشافعية ينصّون على ذلك، **كالخطيب الشربيني**، **والقليوبي، والبرماوي، والبجيرمي.**

الفقيه المالكي الكبير **ابن الفرس الأندلسي** المعاصر للقاضي عياض، اكتفى بحكاية وجود قولين في المسألة ولم يرجح بينهما...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

٢ -(فيض الباري شرح صحيح البخاري)